طوفان الأقصى

شعر: الدكتور حجر أحمد البنعلي

مقدمة:

استيقظت من نومي صباح السابع من أكتوبر، فتفاجأت بأخبار عملية "طوفان الأقصى"، التي أطلقتها حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم. فكانت مفاجأةً لي، ولكن الأهم أنها كانت مفاجأة كبيرة للاستخبارات الإسرائيلية والأمريكيّة، أحدثت زلزالاً وصدمةً كبيرة لهما.

وكنت على علمٍ بأن قطاع غزة يُعاني من حصارٍ إسرائيلي خانق، من كلّ الجوانب، ومغلق عن بقية العالم؛ فالغذاء والماء والدواء والكهرباء يخضعُ لسيطرةٍ إسرائيلية تامّة، وهو ما يزيدُ من صعوبة حياة الفلسطينيين فيها. كما أنّ اتساع رقعة الاستيطان، وتهجير الفلسطينيين من قراهم، وهدمِ منازلهم، والغلوّ في الاعتقال والأسر، في ظلِّ حكومة إسرائيلية يمينية متطرفة جدًا، جعل الحياة في غزة جحيمًا لا يطاق.

وقد استبشرت عندما سمعت عن إعلان محمد الضيف – قائد الأركان في كتائب عز الدين القسام– بداية "طوفان الأقصى"، وأنه جاء ردًا على "تدنيس الإسرائيليين للمسجد الأقصى"، وذلك بُعيد اقتحام مئات المستوطنين له، وعلى مدار ثلاثةِ أيام تزامنًا مع عيد العُرش اليهودي، بحمايةٍ ودعمٍ من الشرطة الإسرائيليّة، التي واصلت التعنت في منعِ الفلسطينيين من دخول باحات المسجد.

وخلالَ سبعةِ أسابيع من متابعتي أحداث غزة، لساعات طويلة، شاهدت ما لم أشاهده في حياتي من قبل؛ المظاهرات الشعبية الكبيرة المتعاطفة مع الفلسطينيين لأول مرة، في الدول الغربية، كالولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا، التي تدعم حكوماتُها إسرائيل بالمال والسلاح ضد العرب، واختفاء أكثر الشعوب العربية في الظلام؛ خوفًا من المباحث "الوطنية".

وفي أثناء الهدنة المؤقتة، شعرت بالرغبة في تسجيلِ مشاعري، وتوثيقِ الأحداث التاريخية التي وقعت، بقصيدة تؤكد مقولة العرب الخالدة: (الشعر ديوان العرب)، فكتبت:

يا ويحَ نفسيَ ماذا يفعَلُ العَرَبُ؟ أَهم نيامٌ وكلُّ الناسِ قد غضِبوا؟
ما حرَّكت جُثثُ الأطفالِ نخوَتَهم أين الشعوبُ، وأين السادَةُ النُّجُبُ؟
في العالَمِ اليومَ آلافٌ مؤَلَّفةٌ ثارت لِغزةَ تَأييدًا وتَصطَخِبُ
من شَرقِ أسيا إلى أمريكا قد انطلقت وكُلُّهم بوشاحِ القُدسِ يَعتصِبُ[1]
كُوفيةُ القدسِ رمزٌ للنضالِ سَرت في الكونِ ما مثلُها الأقمارُ والشهُبُ

بالقدسِ أعني فلسطينًا برمَّتِها ... والقدسُ للعُربِ لا للغيرِ تَنتَسِبُ
أثارَ دمعيْ رَضيعٌ ماتَ مُحترَقًا ... كَفكفتُ دمعيَ لكن عادَ ينسكِبُ
تحتَ الرُّكامِ نِساءٌ قُطِّعت إرَبًا ... وصِبيةٌ وُئِدت في كفِّها اللُّعَبُ
فالأبُّ مُنصرِعٌ والطفلُ مُنجرِحٌ ... والأمُّ ما ستَرت أشلاءَها الحُجُبُ
بكى العَجوزُ بُعيدَ القَصفِ مُشتَكِيًا: ... لم يبقَ لي في الدُّنا ابنٌ ولا عَقِبُ
قَصفُ المريضِ بمشفىً من سيقبَلُهُ؟ ... دمعي يسيلُ وقلبي في الحشا يَجِبُ
فكيفَ أكتمُ أحزاني وبي ألَمٌ ... يَكادُ قلبي من المأساةِ يلتهِبُ
وطِفلةٌ بنزيفِ الدمِّ قد غَرِقت ... قلبي لرؤيتِها في الدَّم يضطربُ
نَبكي عليهِم ونَشكو نَكبَةً وَقَعت ... يا ليتَ شِعري متى يستيقظُ العَربُ
فالعُربُ تنظرُ للشاشاتِ في قَلقٍ ... لم تُبدِ رأيًا لأنَّ الرأيَ مُستَلَبُ
لمَ التقاعُسُ عن تأييد إخوتِنا؟ ... فالدينُ أيَّدَهم والعدلُ والنسَبُ
ما لي ألومُ العِدا والعُربُ قد خَضَعوا ... لما يقولُ العِدا، حتى ولو كَذَبُوا
قالت بلا خجلٍ للناس "جامعةٌ": ... إدانةُ العُربِ، واسرائيلَ، ما يَجِبُ[٢]
ساوت ضَحايا العِدا بالمعتدي أسفًا ... من أَجلِ صُهيونَ يا ويلاهُ قد غَضِبوا
إني لأعجَبُ من تصريحِها عَجبًا ... والناس تَعجَبُ، هل تدري لمَ العَجبُ؟
هل يا تُرى هيَ باسم العُربِ قد نَطَقت ... أم صاغَ تصريحَها الأعداءُ لا العَرَبُ؟
أين العروبةُ، أين الدينُ، وا أسفي ... أما نهاكم كِتابُ اللهِ والنسبُ؟[٣]
لو لِلشعوبِ بأرضِ العُربِ "جامعةٌ" ... لَما استقَرَّ بنو صهيونَ بل هَربوا
صَهيونُ وحشٌ كريهٌ لا ضميرَ لهُ ... يَحلو له القتلُ والتشريدُ والكَذِبُ
فالكَذبُ دَيدَنُهُ في كلِّ معركةٍ ... فكلُّ ما يدَّعي عن نفسهِ كَذِبُ
قصفُ المشافي وقتلُ الأبرياءِ بها ... جريمةٌ، لا العِقابُ الشجْبُ والخُطَبُ؟!
صَهيونُ نَفَّذها والغَربُ مَوَّلَها ... مجازرُ البغي طولَ اليومِ تُرتَكَبُ
ومجلسُ الأمنِ لا أمنٌ يدور بهِ ... فهو الأسيرُ وفي (نيويورك) مُغتَصبُ

طَغَى الصهاينُ هذا العامَ وانفلَتوا ... يَحثُّهمْ "نـتِنٌ" للسجنِ يَقتربُ[٤]

كم دنَّسُوا المسجِدَ الأقصى ببـغيهِمُ ... فثارَ للدينِ فتيانٌ لـه غَضِبوا

جِدارُ صُهيونَ سورٌ لا مثيلَ لهُ ... قد شَيّدوهُ بسِحرٍ ليسَ ينشَعِبُ

ورَصَّـعُوهُ بـآلاتٍ مُطَـوَّرةٍ ... فالطيرُ إن رامَهُ في الجوّ يَضطَرِبُ

أعجوبةُ العَصرِ ذاكَ السورُ قِيلَ لَنا ... قد كانَ للأمنِ في تَشييدِهِ أَرَبُ[٥]

قد أعلنَ "الضَّيفُ" طوفانًا يُبدّدُهم ... قامت به فِتيَةٌ قد هاجَها غَضَبُ[٦]

أبطالُ غَزَّةَ لا الحاسوبُ أعجَزَهم ... ولا الجِدارُ، ولا النيرانُ تَنسكِبُ

اللهُ أكبرُ قالَ القومُ فانطَلَقوا ... والسِّحرُ يُبطلُهُ القَسَّامُ .. لا عَجَبُ[٧]

كم دولةٍ في ديارِ العُربِ قد خَنَعَت ... وأنتمُ في الوَغى تَعلو بكمْ رُتَبُ[٨]

لم يعرفِ العزُّ في الأرجاءِ مثلَكمُ ... فضلانِ عندَكمُ؛ العِلمُ والأدبُ

غِلافُ غزَّةَ بالطوفانِ منكَسِرٌ ... كأنَّهُ من بَقايا الريشِ مُنتَصِبُ

غَزوا "الغِلافَ" بدرَّاجاتِ صِبيَتِهم ... فانهارَ تَحصينُهم والجُندُ تَنتحِبُ[٩]

طار المناضِلُ فوقَ الجسرِ تَدفَعُهُ ... رِيحُ الإلهِ، وللقُرآنِ يَصطَحِبُ

وحلَّ فوقَ جنودٍ بالشراعِ سَرى ... لم يُدركوا أنَّهم في حِصنِهم غُلِبوا

"شَفْراتُ" صَهيونَ فكّوها بلا تَعَبٍ ... في كَشفِ سِر العِدا سِرٌّ به لَعِبوا[١٠]

ساقوا جُنودَ العِدا، أسراهُمُ ذُلَلاً ... لأرضِ غَزةَ والإصباحُ يَقتَرِبُ

ما قاوَمَ الجُندُ بل ساروا كما أُمِروا ... أضناهم الذُّلُ .. لم يَسهُل لهم هَرَبُ

واليومَ أقبلتِ الأبطالُ باسِمـةً ... أما العدوُّ فقد أَزرى به التَّعَبُ

أبطالُ غزَّةَ إما النصرُ يُسعِدُهم ... أو الشهادةُ في الهيجاءِ ما طَلَبوا

للقائد الفذِّ يَحيى، في الوَغى حِيَلٌ ... قادَ النضالَ بإتقانٍ كما يَجِبُ[١١]

لِلأهلِ قد أنجزت في الخطبِ دوحتُنا ... وقفًا لقصفٍ لَعَلَّ السلمَ يُكتَسَبُ

وهُدنَةً تُسعِفُ المرضى وإن قَصُرَت ... وفكَّ أسرى بأعدادٍ لها حَسبوا

أسرني ما مضت تسعى له قَطرٌ ... بما يَسُرُّ الأشقا أيُّها العَربُ

قهرُ العِدا سرَّني فليفرحِ العَربُ ... والغَربُ من خَبرِ "الطوفانِ" يَضطَرِبُ[12]

ربيبةُ الغَربِ إسرائيلُ قد وُلِدَت ... من رَحْمِ لندنَ أمٌّ و(ابنُ سامَ) أبُ[13]

هذي الحقيقةُ لا تَخفى على أحَدٍ ... هي الحَقيقةُ، لا شَكٌّ ولا رِيَبُ

لِمَ التقاعُسُ عن تأييدِ إخوتِنا ... أما صَحَا في ضميرِ الأمةِ الغَضَبُ؟!

لم أدعُ حرَبًا على الأعداءِ كلِّهمُ ... فهم كثيرٌ، وفي نِيرانِهم عَطَبُ

لكن نُقاطعُ ما باعوا وما طَلبوا ... حِينًا من الدهرِ، يُضنيهم فينقلبوا

والصينُ قد أنتجت ما أنتجوا عِوَضًا ... فالعلمُ في الصينِ والأحلامُ والأدَبُ

وا حرَّ قلباهُ إن القلبَ مضطَرِبُ ... فالنارُ تُحرِقُه والصَدرُ ملتَهِبُ

أعللُ النفسَ لكن لا تُطاوعني ... والدمعُ كالسيلِ من عينيَّ ينسكِبُ

ولست أعجَبُ من حكّامِ أُمتِنا ... صَمتُ الشعوبِ وقد نامت هو العَجبُ

والدمعُ يجري لِما أحسستُ من ألَمٍ ... والنّفسُ حَيّرَها ما تَفعَلُ العَربُ

الشرح:

١. وشاح القدس: الكوفية الفلسطينية.

٢. جامعة: جامعة الدول العربية. دانت الجامعة العربية قتل المدنيين "من الجانبين" في اجتماع طارئ عقدته الأربعاء ١١-١٠-٢٠٢٣. وذكرت جريدة الشرق الأوسط في ١٢-١٠-٢٠٢٣: "بيان الجامعة العربية، إدانة لحماس وإسرائيل" ... تثير جدلا بين المشاركين وتحفظات من بعض الدول الأعضاء.

٣. إشارة إلى قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ)، *سورة النحل – الآية 90.*

٤. نتن: نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الصهيوني.

٥. الأرَب: الحاجة الشديدة

٦. الضيف: محمد الضيف، القائِد العام لكتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

٧. القسام: الجناح العسكري لحماس.

٨. خَنَعَت: خضعت.

٩. **الغلاف: غلاف غزة**، مستوطنة إسرائيلية تقع مع الحدود المتاخمة لقطاع غزة بكيلومترات قليلة حيث تضم سديروت، ويوجد بها العديد من المستوطنات الأخرى في المنطقة ويقدر عدد سكانها بحوالي ٧٠,٠٠٠ نسمة.

١٠. **الشفرات**: رموز خوارزمية سرية للتعمية عليها.

١١. **يحيى: هو يحيى إبراهيم السنوار**، رئيس حركة المقاومة الإسلامية حماس في قطاع غزة، المعروف بالدهاء والحزم.

١٢. **الطوفان: طوفان الأقصى، وهي معركة السابع من أكتوبر، العمليةُ العسكرية المُمتدة، شنَّتها** فصائلُ **المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة** وعَلى رأسِها **حركة حماس** عَبر ذراعها العسكري، **كتائب عز الدّين القسام في أوّل ساعات الصباح من يوم السبت (٧ تشرين الأول/أكتوبر 2023.**

١٣. **ارتبط اسم الولايات المتحدة الأمريكية بلقب "العم سام"، كما يسمى الأمريكان أبناء سام. ويعود لقب "العم سام" إلى حرب سنة ١٨١٢ حيث كان الجزار الأمريكي صموئيل ويلسون يزود القوات الأمريكية باللحوم.** كان ويلسون يختم براميل اللحم التى يرسلها للجنود بحرفي.**U.S أي الولايات المتحدة، لكن الجنود قرأوها Uncle Sam.**

غزة تحت القصف